النقد الانطباعي والمسرح

(المحاضرة الثالثة)

تتجلى علاقة النقد الانطباعي بالمسرح في عدة جوانب، سواء من حيث تأثير الحركة الانطباعية على الأداء المسرحي نفسه، أو من حيث طبيعة النقد الموجه للعروض المسرحية، فالمسرح، بطبيعته الفنية التي تعتمد على اللحظة والتأثير المباشر، يفسح المجال واسعًا أمام النقد الانطباعي.

الانطباعية كأسلوب أداء مسرحي

لم تقتصر الحركة الانطباعية على الفنون التشكيلية، بل امتد تأثيرها ليشمل أشكالًا فنية أخرى، بما في ذلك المسرح، في أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت (الانطباعية في المسرح) كأسلوب أداء يركز على التجربة الحسية للجمهور، كان هذا التوجه بمثابة رد فعل على الأساليب المسرحية التقليدية التي كانت تركز على السرد الصارم والبنية المحكمة، الهدف الأساسي للانطباعية في المسرح هو خلق حالة مزاجية معينة، وأجواء غامرة، وإحساس عام، بدلاً من التركيز على سرد قصة تقليدية أو تقديم حبكة معقدة.

خصائص الانطباعية في الأداء المسرحي:

• التركيز على التجربة الحسية: يتم استخدام الضوء واللون والصوت بشكل مكثف لخلق تجربة غامرة للجمهور، تثير استجابات عاطفية وحسية مباشرة.

• السرد غير الخطي والرمزية: غالبًا ما تعتمد العروض الانطباعية على سرد غير خطي، وتستخدم الرمزية والتجريد لإيصال المعاني والمشاعر، بدلاً من الاعتماد على حبكة واضحة ومباشرة.

• الأداء المنمق: قد يكون أداء الممثلين في العروض الانطباعية منمقًا أو غير واقعي، حيث ينصب التركيز على خلق الحالة المزاجية العامة والتأثير العاطفي، وليس بالضرورة على تجسيد شخصيات واقعية بالمعنى التقليدي.

النقد الانطباعي للعروض المسرحية:

نظرًا للطبيعة المباشرة والتأثيرية للعروض المسرحية، فإن النقد الانطباعي يجد له مكانًا طبيعيًا في هذا المجال، خاصة في الكتابات الصحفية والنقد السريع الذي يتبع العروض مباشرة، يعتمد هذا النوع من النقد على اللحظة التأثرية الأولى التي يختبرها الناقد عند مشاهدة العرض.

تأثير النقد الانطباعي على النقد المسرحي:

• التركيز على الأثر الفوري: يصف الناقد الانطباعي المشاعر والمتعة التي شعر بها خلال وبعد الانتهاء من مشاهدة العرض المسرحي هذا يختلف عن المناهج النقدية الأخرى التي قد تركز على تحليل البنية الدرامية، أو الأداء التمثيلي، أو الإخراج من منظور أكاديمي صارم.

• الذاتية في التقييم: غالبًا ما يكون النقد الانطباعي للعروض المسرحية شخصيًا للغاية، ويعكس ذوق الناقد ومزاجه الخاص، قد يؤدي ذلك إلى أحكام متناقضة لنفس العرض من قبل نقاد مختلفين، حيث يرى كل منهم العرض من خلال عدسته الذاتية.

• أزمة النقد المسرحي: يرى بعض النقاد أن النقد الانطباعي، الذي يقوم على الحالة المزاجية للناقد، يمثل أزمة حقيقية لأنه قد يظلم العروض المسرحية، فالحكم السريع وغير المعلل قد لا يعطي العمل الفني حقه، وقد يفتقر إلى العمق والتحليل اللازمين لتقييم شامل.

• النقد الصحفي: لازم النقد الانطباعي النقد المسرحي الصحفي بشكل ملحوظ، ففي الصحف والمجلات، غالبًا ما يكون هناك حاجة لتقديم رأي سريع ومباشر حول العروض، مما يجعل النقد الانطباعي خيارًا شائعًا، على الرغم من أنه قد يفتقر إلى المنهجية الأكاديمية.

وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إليه، لا يمكن إنكار أن النقد الانطباعي يمثل جزءًا من المشهد النقدي المسرحي، خاصة في سياق التفاعل المباشر مع الجمهور والتغطية الإعلامية السريعة، ومع ذلك، فإن تطور النقد المسرحي الحديث يتجه نحو مناهج أكثر موضوعية وتحليلية، تربط المسرح بالدراسات الأكاديمية والفكرية.

الخاتمة

يُعد النقد الفني الانطباعي منهجًا نقديًا ذا طبيعة ذاتية وتأثرية، يعتمد على التجربة الشخصية للناقد ومزاجه الخاص في تقييم الأعمال الفنية، على الرغم من أن جذوره تمتد إلى العصور القديمة، إلا أن مصطلحه ظهر بوضوح في القرن التاسع عشر، متزامنًا مع الحركات الفنية التي ركزت على الذاتية والتأثير الحسي، في المسرح، تجلى النقد الانطباعي في أساليب الأداء التي تسعى لخلق تجربة حسية غامرة للجمهور، وفي طبيعة النقد الصحفي الذي يركز على الأثر الفوري للعروض، وتكمن قوة النقد الانطباعي في وصوليته وجاذبيته للجمهور العام، وقدرته على التعبير عن الصدق العاطفي للناقد، ومرونته التي تمنح الناقد حرية التعبير، ومع ذلك، فإن سلبياته تبرز في ذاتيته المفرطة، وافتقاره إلى العمق التحليلي، وعدم وجود معايير ثابتة، مما يجعله أقل مصداقية من المناهج النقدية الموضوعية.

ان فهم النقد الانطباعي أمرًا ضروريًا لطلبة الإخراج المسرحي، ليس فقط لمعرفة أحد مناهج النقد الفني، بل أيضًا لإدراك كيفية استقبال الجمهور والنقاد لأعمالهم المسرحية، فالمخرج، وإن كان يسعى لتحقيق رؤية فنية عميقة، يجب أن يدرك أن جزءًا من تقييم عمله سيأتي من خلال الانطباعات الأولية والتأثرات الشخصية للمتلقين، إن الموازنة بين تقديم عمل فني ذي قيمة فكرية وجمالية، وبين إحداث تأثير عاطفي وحسي مباشر على الجمهور، هو تحدٍ مستمر يواجهه المخرج، ويساعده فهم النقد الانطباعي على التعامل معه بوعي أكبر.